تحديد اغراض المجمع

مسايرة اللغة العربية للحياة الحديثة

للدكتور محمد حسين هيكل باشا

وزير المعارف

[الق معالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا خطبة قيمة في حفلة افتتاح الدورة الحالية لمجمع فؤاد الأول للغة العربية استهلها بتوجيه الشكر الى معالي رئيس المجمع لدعوته اياه لالقاء كلمة في الحفلة ثم شكر للرئيس والاعضاء ترحيبهم بالاعضاء الجدد — والدكتور هيكل احدهم — ونوّه بجهد المجمع الكبير قبل انضمامه وزملائه الجدد اليه وذكر الذي قضوا أجلهم من أعضائه بالخير وطلب لهم من الله مثوبة ومغفرة . ثم قال معالجاً موضوع اغراض المجمع :—]

وليس ينقص من قدر هذا المجهود الكبير أنهُ ما زال في بدايته . أو أن لي أو لغيري بعض ملاحظات عليه يراد بها مزيد من دقة التوجيه الى الغرض المنشود حيناً ، وبلغ حد النقد في بعض الاحيان . فالغرض العظيم الذي انشىء المجمع لتحقيقه ، والعمل الجسيم الذي لا بد منهُ لبلوغ هذا الغرض يحتاجان الى كثير من الاناة والروية ، والى زمن لا تعد السنون شيئاً مذكوراً فيه . لقد قضى المجمع الفرنسي منذ انشأه ريشليو عشرات السنين قبل أن يضع معجمه الاول للغة الفرنسية . ومع هذه الاناة ، ومع ضخامة المجهود الذي بذل خلال هذه السنين الطويلة ، وجهت الى هذا المعجم الوان كثيرة من النقد كانت موضع اعتبار المجمع وتقديره أثناء مراجعة معجمه . ولا تزال لجنة المعجم في المجمع الفرنسي تراجعه وتضيف اليه وتعدّل فيه تبعاً للتطور اللغوي في تلك البلاد ، متوخية في عملها ان تحافظ على سلامة اللغة الفرنسية وعلى ملاءمتها لحاجات الحياة وتطورها ، مؤمنة دائماً بأن اللغة كائن حي متصل أوثق الاتصال بكل صور الحياة ، يسايرها في نموها وانقراض ما ينقرض وتطور ما يتطور . فالمجمع الفرنسي ، ككل من درسوا اللغة ومارسوها يرى ان اللغة هي صورة الحياة في ادراك الذين يتكلمون هذه اللغة ، ولها لذلك مرآة تقدم هؤلاء القوم أو تأخرهم ، نشاطهم أو قعودهم ، قدرهم الصحيح لحقائق الحياة او توهمهم الباطل لهذه الحقائق

وكيف لانسان ان يضبط المجهود الذي قام به المجمع وقد اقر أكثر من أربعين قاعدة في اللغة ييسرها وتوسع اقيستها ، وتنبيها لترجمة عن مستحدثات المعاني ، وقد استخرج آلافاً

من المصطلحات في علوم الأحياء ، والرياضة ، والطبيعة ، والاقتصاد السياسي ، والفلسفة ، وتاريخ القرون الوسطى ، والفارسية ، والفرنسية ، والتجارة ، وقد أقر طائفة جليلة من المسميات الحديثة في الشؤون العامة كالدرجات للقناصل وأثمانها ، وما تتناوله الأنس والأقلام في الأسواق والأندية والصحف ، وقد بدأ بوضع المعجمات التي تدعو اليها الحاجة ، وقد صحح من الأعلام الجغرافية في مصر وأفريقيا وآسيا عدداً عظيماً ، وقد نشرت مجلته بحوثاً بلغت صفحاتها نحو الف وخمسمائة . هذا وما اليه جدير بتقدير الناس جميعاً وتثمينهم ، وان وجه الى بعضه من النقد ما قد يقره المجمع نفسه ، وما قد يدعوه الى ان يعدل عن شيء أقره الى ما يراه خيراً منهُ وأدنى الى تحقيق غايته

سادتي : لقد كان ما يتصل باللغة من شؤون التعليم مما وجه اليه المجمع عناية مذكورة . وأنتم تقرأون في المذكرة التي وضعها المجمع بين أيديكم انهُ وضع نصب عينيه أخذ الناشئين بصحيح العربية فيما يتدارسون من العلوم والفنون ، وأنهُ قد وجه جل همه من هذه العناية الى المصطلحات التي تدخل في التعليم الثانوي ، وان بين المعجمات التي يتوفر على وضعها معجماً علمياً صغيراً للتعليم الثانوي في الأقطار العربية ، وآخر تثبت فيه طوائف من المواد والألفاظ والصيغ تغني الطالب الثانوي والمثقف الوسيط عن غيره من المعجمات ، وانهُ وافى وزارة المعارف بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة مصطلح لادخالها في كتب التعليم وفي التدريس

ولم يتم بعد وضع المعجمين اللذين أشرت اليهما ليتسنى ابداء الرأي فيهما . وقد سألت وزارة المعارف عما وانتها به ادارة المجمع فعلمت ان هذه المصطلحات لما تعرض على رجالها ، وان تجارب الطبع لهذه المصطلحات لا تزال حبيسة في المطبعة الأميرية منذ سنة ١٩٣٩ . وقد أرسلت الي ادارة المجمع من أيام هذه المصطلحات فعرضتها على اثنين من رجال الوزارة فأقروا طائفة مما أطلعا عليه ولم يقروا طائفة أخرى . ثم اني ألقيت على هذه المصطلحات نظرة عجلى ألخص ما أريد ان أتحدث اليكم اليوم فيه

جاء في المذكرة التي وضعها المجمع بين أيدينا تمهيداً لهذه الجلسة ان من يترسم آثار المجمع (لا ريب في انهُ في تشدده في المحافظة على لغة العرب ، وبعث ما لا عهد للجمهرة به من قديمها ومحفوظها مما يقع عندها موقع الغرابة او ما هو أشد من الغرابة في أول الأمر ، فانهُ من ناحية أخرى لا يفتأ يترخص أعظم الترخص ، ويسر أبلغ التيسير على ان ترخصه هذا وتيسيره انما يقعان في حدود اللغة ، وما مضى من مذاهب علمائها الأعلام ، فلا سيادة لعامية ، ولا طغيان للعجمي على لغة الكتاب)

هذه الفقرة من مذكرة المجمع قد جلت أمامي كثيراً مما رأيته في المصطلحات التي اطلعت عليها ، وفي المسميات التي وضعها المجمع لحاجات الحياة المتداولة . فهو قد آثر ان يبعث من تراث

اللغة الا جمهور ما رآه معادلاً لهذه [illegible]ات والمصطلحات . ولا أخالني مخطئاً في هذا التعبير وقد وضع المجمع منذ سنوات جزءاً خاصاً لمن يضعون دواوين من الكلمات العربية الصحيحة للمسميات الحديثة وللمصطلحات العلمية والفنية والأدبية ، ثم به الذين يتقدمون لهذه الجوائز انهُ يفضل عند التسمية ما وضعهُ القدماء من الكلمات الصحيحة ثم غير وتنوسي ، واستعمل بدلاً منهُ ألفاظ مولدة حديثة ، او عامية ، او أعجمية . فان لم يعثر على شيء من ذلك وضعت الكلمة وضعاً جديداً بطريقة من طرق الوضع القياسية

لست أتردد في الموافقة على هذه الخطة في أمر المصطلحات العلمية كلما وجد اللفظ العربي القديم الذي يؤدي الغرض من هذا المصطلح أداء دقيقاً يقره المتخصصون من العلماء . والعلي لا أتردد كذلك في الموافقة عليها اذا استعمل لفظ أجنبي للتعبير عن معنى قديم كان العرب يعبرون عنهُ بلفظ عربي . لكني أقف متردداً ، ويطول تردد ي ، فيما خلا هاتين الصورتين ، وفيما يوضع من المسميات لحاجات الحياة المتداولة . ولا أحسبني دون ذلك تردداً في أمر الألفاظ العامية اذا أمكن تقويمها لتسترد صورتها العربية الصحيحة

أيها السادة : ان الغرض الأساسي من انشاء هذا المجمع انما هو جعل اللغة العربية ملائمة لحاجات الحياة في عصرنا مع المحافظة على سلامتها . هذا الغرض يتضح جليًّا في المذكرة التي وضعها المجمع اليوم بين أيدينا . فكل ما يذل من جهود الأفراد والجماعات في أمر اللغة منذ عهد محمد علي الكبير الى اليوم قد توخى هذا الغرض . وقد سجل مرسوم انشاء المجمع هذا الغرض في المادة الثانية منه تسجيلاً صريحاً . ولكي تلائم اللغة حاجات الحياة في عصر من العصور يجب ان تكون صورة صادقة لكل ما تتناوله الحياة في هذا العصر ، ويجب ان تكون سليقة المتكلمين بها والكاتبين لها ، ويجب ان تكون بذلك أداة التفاهم بين هؤلاء جميعاً تفاهماً يتم في غير عسر ولا مشقة ، ويجب لذلك ان يكون القدر المشترك منها بين الجميع ، من الصبي الناشيء الى العالم الكبير ، ومن ربة البيت في أهلها الى المتحدث في الفنون والعلوم والآداب — يجب ان يكون عظيماً بحيث ييسر هذا التفاهم ويجعله في متناول الجميع ، فلا يقع خلاف بينهم فيه بسبب اللغة وألفاظها ، وان أمكن ان يقع بسبب تفاوتهم في الثقافة . وكل جهد يبذل لزيادة القدر المشترك تيسيراً للتفاهم المتبادل ، بدلي من الغرض الذي نشأ مجامع اللغة لتحقيقه

اذا كان هذا صحيحاً ، وأعتقد أنا صحته ، وجب ان لا نتقيد في جعل لغتنا ملائمة لحاجات عصرنا بالحدود التي وضعت في عصر العباسيين او في عصر الأمويين ، او في الجاهلية لحاجات عصرهم . فاذا أردنا أن نضع منهجا يغني المثقف الوسيط ، ويغني الطالب الثانوي ، وجب مع محافظتنا على سلامة اللغة ، أن لا نهمل تطورها الى حيث وصلنا اليوم ، ووجب أن

ندرس بعناية هذا التطور في الكتابة وفي لغة الكلام

لقد رأى العالم العربي في كل عصور ، الى عصرنا الحاضر ، خطباء اشتهرت بلاغتهم للناس ، ومحامين كانت مرافعاتهم مثلاً عالياً لبلاغة القضائية ، وكتاباً في الصحف وفي المجلات ومؤلفين قدرهم أهل هذه الامم أسمى التقدير . هذه الخطب ، وهذه المرافعات ، وهذه الكتابات على اختلاف أنواعها وعصورها ، تصور تطور اللغة ، فلا سبيل الى انكارها . وهذه الخطب والمرافعات والصحف والمجلات والكتب تحوي قدراً مشتركاً عظيماً جداً من الفاظ اللغة وتراكيبها ومن أساليبها التي تتفق مع تصور الناس للحياة في هذا العصر وأبناؤنا في المدارس وجماهيرنا المثقفة تثقيفاً وسطاً تستمع الى هذه الخطب والمرافعات وتقرأ هذه الصحف والمجلات والكتب ، بشغف أكثر من شغفها حين تقرأ الكتب القديمة . أفيقال مع هذا إن في هذه الخطب والمرافعات والصحف والكتب ألفاظاً عامية لايجوز أن تكون في معجمات اللغة ؟ أم الحق أنا يجب علينا أن لانهمل هذه الثروة اللغوية الحية ، وأن نسجل منها كل مايتفق مع ذوق العربية وأقيستها ، وأن مانقوم به من ذلك هو الذي يجعل اللغة لغة الحياة تسير معها وتتطور بتطورها

وأذهب الى أبعد من هذا . أن في اللهجات العامية للبلاد العربية المختلفة لقدراً عظيماً من الكلمات المشتركة ، والتي يمكن أن ترد الى أصل عربي دون حاجة الى أكثر من تقويمها بعض التقويم . هذه ثروة ضخمة تقابل حاجات الحياة وتسرعها أصدق تعبير . مع ذلك دوجنا على انكار هذه الألفاظ والعبارات ، وعلى اعتبارها مبتذلة لايجوز للمتكلم الفصيح ، أو للكاتب البليغ ، أن يكتبها أو يتكلم بها . أما وقد انحدرت هذه الالفاظ الينا من العرب الاولين الذين نزحوا الى مصر والى غير مصر من البلاد العربية ، فلست أدري لم تكون مبتذلة ، ولم لاتدخل في معجماتنا ، وفي كتابتنا وخطابتنا ، وفي مصطلحاتنا المختلفة . السبب الوحيد في نظري هو أننا نريد أن تكون اللغة وقفاً على طائفة خاصة . وأن تكون لها من أجل ذلك أسرار تحجب عن الكافة كما أراد الكهنة في عهد الفراعنة أن يجعلوا حقائق الدين سراً موقوفاً على طائفتهم . وان يدعوا الناس من الزيف مايتزهون عنه . وما يسخرون منه

أيها السادة : إن ما أطالب به المجمع من اقرار ما يجوز اقراره من هذه الالفاظ المتداولة في الكلام وفي الخطابة وفي الكتابة بعد رده الى حدود اللغة السليمة هو ما تقوم به مجامع اللغة في بلاد العالم أجمع . وهو ليس بدعاً في لغتنا العربية منذ عهدها الاول . والمادة الثانية التي حددت اغراض مجمعنا تطالبنا به . فهي قد نصت على أن يقوم المجمع بوضع معجم تاريخي للغة العربية . وأن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة . وهذان الامران يتصلان أوثق الاتصال . فاللهجات الحديثة تشتمل كما قدمت على قدر عظيم مشترك من الالفاظ والعبارات

العربية . كما انه قد اقتضى انها بحكم الحوادث التاريخية واختلاط الامم التي تتكلم بالعربية بشعوب أجنبية عدد عظيم من الالفاظ غير العربية . فالدراسة العلمية المقصودة هنا ، والتي تتفق مع مهمة المجمع ، لا بد أن يكون مرماها تحديد الالفاظ العربية في هذه اللهجات المختلفة تحديداً علمياً دقيقاً للاستفادة منها في وضع المعاجم التي نص عليها في اغراض المجمع . اما المعجم التاريخي فيجب أن يتناول تطور اللغة على العصور الى وقتنا الحاضر . وأن تكون الالفاظ العربية السليمة التي يصطنعها الناس في أحاديثهم وخطبهم وكتاباتهم بعض هذا الذي يتناوله

ايها السادة : ان هذا الذي قدمت صحيح في نظري كل الصحة . واضح كل الوضوح . لذلك كان عجبي ولا يزال شديداً أن لا يفصل من تاريخ اللغة وآدابها في معاهدنا شيء فيما وراء العصر العباسي . ولم يدرس الأدب الحديث الا من عهد قريب . وعلى نحو لا يزال بدائياً غير متصل بما سبقه من تاريخ الأدب واللغة . ولقد لاحظت منذ سنوات على المعجم التاريخي للدكتور فيشر ، وهو المعجم الذي يعنى المجمع بطبعه الآن ، انه لا يتناول الا العهد الأول من صدر الاسلام . وكنت قد فهمت يومئذ ان هذا المعجم سيضاف اليه ما يتم الغرض منه بتناول تاريخ اللغة الى وقتنا الحاضر . ولا أظن أحداً يخالفني في ان ما دون من كتب الفقه والأدب والفن والعلم في العصور المختلفة يجب ان يكون بعض هذا التاريخ . ولا أظن احداً كذلك يخالفني في أن الألفاظ العربية الأصل مما تتناوله لهجات الحديث تدخل في نطاق هذا التاريخ .

أيها السادة : اني أعتبر هذا العمل أساسيًّا لتلائم اللغة حاجات الحياة في العصر الحاضر فاللغة اليوم ملك مشاع للجميع . يقرؤها الناس في الصحف ، ويسمعونها في الاذاعة ، ويخطبهم بها الخطباء ، ويتلونها في الكتب . لم تبق وقفاً على القارئين والكاتبين ممن تثقفوا ثقافة لغوية عالية ، بل صارت أداة التفاهم في هذا العصر الكثير الحاجات والمطالب ، والذي يسر للناس من كل الطبقات ان يقفوا على السر من كل الشيء ، لا تختص فئة منهم دون الأخرى ، بما يزاول الناس من علم وفن وأدب وصناعة وتجارة . فكلما تيسرت اللغة للناس ، وكلما شعر الطالب في دور العلم بأنها لا تقف عقبة في سبيل المعرفة التي يبتغي النهل من موردها كانت الاداة الصالحة للغرض الذي وجدت اللغات من أجله . بذلك يحب الناس اللغة ويرون جمالها في بساطتها ، وفي وضوحها ، وفي تكشفها غير محجوبة بحجب التعقيد الذي يحتاج الى دراسة السنوات الطوال لحل رموزه وتبين أسراره

أيها السادة : هذا ما تيسر لي أن أحدثكم اليوم فيه : وهو بعض ما نطالب به في هذا المجمع لتيسير اللغة العربية حتى تفي بحاجات حياتنا ومطالبها . وقد احيلت على المجتمع مسألة الكتابة العربية وتيسيرها . وهذه مسألة جوهرية في نظري ولنظر الكثيرين ، فلها يزيد الناس اقبالاً على القراءة وعلى اللغة ودراستها . وأرجو لذلك أن تنال ما هي جديرة به من البحث